سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدرس الثالث

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثالث

يَقُولونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلى الله، ونُرِيدُ شَفَاعَتَهُم عِنْدَهُ، مِثْل المَلائكَةِ وعِيسَى وَمَرْيَمَ وأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، ويُخْبِرُهُمْ أَنَّ هٰذا التَّقَرُّبَ والاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ الله لا يَصْلُحُ مِنْهُ شيءٌ لِغَيْرِهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولَا لنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا.

وَإِلاَّ فَهَؤُلاَءِ الـمُشْرِكُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلاَّ هُوَ، وَلَا يُحْيِي إِلَّا هُوَ، ولَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِا، والأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

فَإِذَا أَرَدتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَشْهَدُونَ بِهٰذا فَاقْرأْ قولَه جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١] الآيةُ، وَقَوْلَهُ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[المؤمنون] وَغَيْرَ ذَلكَ مِنَ الآيَاتِ [العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ].

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

اللّٰهمَّ إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا، وقلبا خاشعا، ودعاء مسموعا.

اللّٰهمَّ لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين لا إلٰه إلا أنت سبحانك إنا كنا ظالمين.

اللّٰهمَّ وفقنا إلىٰ ما وفقت به عبادك الصالحين.

أما بعد..

فهٰذه صلة لما تقدم من الكلام علىٰ أول هٰذه الرسالة العظيمة «**كشف الشبهات**».

وقد ذكرنا فيما مضىٰ في بيان كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن مشركي العرب كانوا يتعبدون بأنواع من العبادات، كانوا يتصدقون بأنواع من الصدقات العظيمة في الحج وفي غيره، وكانوا أيضا يغتسلون من الجنابة، وكانت المرأة تتطهر من الحيض، وكانوا يصلون بعض الصلوات علىٰ طريقة ما، وكانوا يدعون الله جل وعلا في الضراء وأحيانا في السراء، وكان لهم أنواع من العبادات، ولم يكونوا غير متعبّدين أصلا

بل كان لهم عبادة وتقرب علىٰ الله جل وعلا، ولكنهم أشركوا بالله جل وعلا وعبدوا مع الله جل وعلا غيره؛ اتخذوا آلهة من دون الله جل وعلا أو معه، فتوجهوا إليهم ببعض أنواع العبادة، فاتخذوا اللاتّ وهو رجل صالح كان يلتّ السويق فمات وهو يوزعه علىٰ الحاج، فرأوا من صلاحه، فمات فعكفوا علىٰ قبره، أو أنها صخرة كان يتعبد عندها ذلك الرجل، فرأوا أن ذلك المكان مبارك فتعبّدوا عندها وعظموها وتبركوا بها، وكذلك العزىٰ ومناة وكذلك الأصنام الأخر والأوثان ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر إلىٰ آخر ما يتصل بعبادات المشركين وتوجهاتهم إلىٰ الآلهة المختلفة.

قرّر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما سبق أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأنّ أول الرسل هو نوح عليه الصلاة والسلام، وأن آخر الرسل هو محمد ﷺ، وهؤلاء مع بقية الرسل جاءوا بالتوحيد يأمرون الناس بعبادة الله وحده ويبطلون التعلق بالعبادة بغير الله جل وعلا.

بعدما ذكر ذلك ذكر حقيقة شرك المشركين، فقال: (وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ المَخْلُوقات وَسَائطَ بَيْنَهم وبَيْنَ الله، يَقُولونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلى الله، ونُرِيدُ شَفَاعَتَهُم عِنْدَهُ) وهٰذا سبق بيان صفاته وأن شرك المشركين كان علىٰ نوعين:

- إما شرك بأرواح الكواكب علىٰ حد زعمهم.
- وإما شرك بالأصنام التي تحُلّ فيها أرواح الصالحين بحسب زعمهم، أو الأوثان كالقبور ونحوها بحسب زعمهم أنها تتصل أرواحهم بأرواح الموتىٰ فينفعون أو يضرّون.

مثل للمعبودين بقوله: (مِثْل المَلائكَةِ وعِيسَى وَمَرْيَمَ):

أما الملائكة: فإن طائفة من العرب وغير العرب كانت تعتقد في الملائكة أنها بنات الله جل جلاله ﷻ عما يقولون علوا كبيرا، ويقولون: إن أرواح الملائكة منتشرة، فإذا طُلب من الملائكة أجابت، والملائكة عندهم لم يكن لها أوثان وأصنام كما جعلوا للكواكب، أو كما جعلوا للموتىٰ أو للصالحين، وإنما أرواح الملائكة عندهم منتشرة، والاتصال بهٰذه الأرواح يكون بندائها وبعبادتها إذا احتاجت، فتجيبهم الجن إذا نادوا الملائكة، وتغيثهم الجن فيما أقدرهم الله عليه وظنوا أن ذلك من جهة الملائكة، قال جل جلاله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبإ]، فكانت حقيقة عبادة الملائكة هي عبادة الجن؛ لأنهم ظنوا ذلك ظنا، قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الصافات]، وفي قوله هنا: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ وجهان من التأويل:

- إما أن يكون الجنة هنا الملائكة، والنسب كون الملائكة بنات الله جل جلاله، وسميت الملائكة جِنَّة لما في صفتهم من الإجتنان وهو الاستتار.

♦ والوجه الثاني أن يكون الجنة هنا هم الجن كما قال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[1] يعني الجن، والجن يقال لهم جِنّة لأنهم مستترون، فيكون حقيقة قول المشركين أنهم جعلوا بين الله جل جلاله وبين الجن نسبا لأنهم جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبا.

وفي الحقيقة إنما أوقعهم في ذلك الجن، كما قال جل وعلا: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[سبأ]، فدلّ ذلك علىٰ أن عبادة الملائكة كانت موجودة وأن اعتقادهم في الملائكة لأجل أن الملائكة أرواح ظاهرة فاستغاثوا بها وطلبوا منها فأغاثتهم الجن فعظم تعلقهم بالملائكة وعظم تصحيح اعتقادهم في الملائكة أنها بنات الله جل جلاله.

المقصود من ذلك أن تعلمَ أن سبب الشّرك؛ شرك المشركين بالملائكة هو التعلق بالأرواح الطاهرة، الملائكة أرواح طاهرة بالاتفاق، وذلك عند الأمم جميعا، فجعلوا تلك الأرواح الطاهرة وسيلتهم إلىٰ الله جل جلاله، والله جل وعلا بين أن حقيقة عبادة الملائكة إنما هي عبادة للجن لأنهم لما تعلقوا بالملائكة واستغاثوا بها ليست للملائكة في الحقيقة وإنما هي للجن؛ لأن الجن هي التي أضلتهم بذلك كما ذكر في سورة سبإ في الآية التي ذكرتها لكم قوله جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾، يعني ننزهك عن جميع ما لا يليق بجلالك وعظمتك، ننزهك عن أن نُعبد معك ونعظمك جل وعلا بما أنت أهله ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ:٤١] تبرؤوا من أولئك ثم قالت الملائكة ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾[سبأ:٤١] هٰذه هي الحقيقة.

وإذا نظرت في حال الذين تعلقوا بالصالحين أو تعلقوا بالموتىٰ، فإنهم لهم شبه من جنس شبه المشركين في عبادتهم للملائكة وعبادتهم للاتّ أو لودّ وسواع إلىٰ آخر أوثانهم، وذلك أنهم يخاطبون ذلك الميت، فإذا خاطبوه ظهر لهم إما في سورة أو سمعوا صوته الذي يعلمونه، فإذا سمعوا صوته ظنوا أن هٰذا هو غوث ذلك الآدمي، أو ظنوا أن المخاطِب لهم الملائكة، أو المجيب لهم الملائكة، فعظم تعلقهم بتلك الأرواح، والحقيقة إنما كان ذلك من جهة الجن؛ لأنّ شياطين الجن تعهد أبوهم إبليس بأن يُضِلَّ ذرية آدم إلا القليل، قال جل وعلا مُخبرا عن قول إبليس: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء]، وقال جل وعلا: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص] فاستثنىٰ أهل الإخلاص الذين خَلَصوا من الشرك، فأخلصوا عمَلُهم لله جل وعلا.

فإذن حقيقة الشرك متماثلة، ليس ثَم فرق بين الشرك في الملائكة والشرك بالأموات والشرك بروحانية الكواكب، الحقيقة واحدة وهي أنه تعلقٌ من بني آدم بأرواح غائبة، وهٰذه الأرواح الغائبة عظُمت الشبهة بها لمَّا كلَّمتهم، والشياطين؛ الجن لهم القدرة علىٰ التكليم، وعلىٰ أن يتشبهوا بصورة ابن آدم، كما جاء إبليس للمشركين في سورة رجل نجدي، ويسمع الآدمي صوتا يظنه صوت آدمي وهو صوت جني؛ يقلد

---

[1] هود:١١٩، السجدة:١٣، الناس:٦.

صوت الآدمي، ومعلوم أنّ مثل هٰذه الغائبات إذا تعلق بها المرء وقع في إضلال نفسه؛ لأنه تعلّق بشيء ما يدري ما حقيقته.

والمعلوم المتقرر عند أهل الشرائع جميعا وعند أهل العقول الصالحة؛ العقول السليمة أنّ الميت لا تخاطب روحه روح الآدمي، حتىٰ في هٰذا العصر فيما يسمونه تحضير الأرواح -في أرواح الموتىٰ ونحو ذلك- هٰذا إنما من جهة شياطين الجن يخدمون ذلك الساحر المحضر للأرواح، فإذا خدموه بعد خدمته لهم وتعبده لهم، فإنهم يتشكلون له بالصورة التي يريد ويسمعونه الصوت الذي يريد، ومعلوم أن أعمار الجن أطول من أعمار الإنس كثيرا؛ بل الموت فيهم بالنسبة لابن آدم قليل، لهٰذا قال جماعة من الجن لأحد العرب وسمع صوتهم قالوا له:

لقد فُضِّلْتُم بالأكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

يعني أن حقيقة الآدمي غير حقيقة الجني، الجني خُلق من نار وابن آدم خلق مما وصف لكم، فالجني له مقدرة.

فالتعلق بالملائكة، التعلق بالصالحين، التعلق بالموتىٰ، كان بعد أشياء سمعوها، كان بعد أشياء أُجيبت لهم، فاستغاثوا بالميت فأغاثهم، استغاثوا بالملائكة فأغاثتهم فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا، وكان في الحقيقة أن الذي أعطاهم الجن، وأن الذي يسّر لهم ذلك أو أغاثهم إنما هم الجن، وذلك ليوقعوا الشرك والبلاء العظيم فيهم بعد إذن الله جل جلاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في أكثر من موضع في كتبه: إن الشياطين شياطين الجن تتشكل بصورة الآدمي، يقول: حتىٰ إنها تتشكل بصور الأحياء والأموات، ومرة وقع بعض أصحابي في شدة؛ طائفة من تلامذة ابن تيمية يقول: وقعوا في شدة فكانوا بعيدين عني، قال فظهرت لهم فيما قالوا فاستغاثوا بي، فلما أتوني وأخبروني الخبر قالوا: استغثنا بك فأغثتنا، فقال: إني لم أبرح مكاني، ذاك شيطان تمثل في صورتي.

وهٰذا يحصل أيضا عند كثيرين حيث يزعمون أن فلانا رُئي في دمشق، أو رئي في مصر، أو رئي في بغداد، أو رئي في المدينة وفي الوقت نفسه رئي حاجا في مكة ورئي معتمرا.

ومن المعلوم القطعي عند أهل العقول الصحيحة أنّ الجسم الواحد لا يكون في مكانين متباعدين في الزمن نفسه، ومن قال: إنه رآهم هنا ورآهم هنا فهو صادق؛ رآهم في المدينة ورآهم في مكة في الوقت نفسه، يقول: رأيناه حاجا، وأهل البلد الفلاني يقولون يوم عرفة رأيناه عندنا، فيكون هؤلاء صادقون وهؤلاء صادقون؛ ولكن جاء الاشتباه من جهة تمثل الجني بالإنسي، فمن أخبر بالرؤية فهو صادق، ولكن لا يمكن أن يكون ابن آدم في مكانين متباعدين في وقت واحد، ولكن الجني تمثل بصورته ليُضل الناس.

إذن فهٰذا الباب باب الشرك يدخل منه شياطين الجن الذين قال إمامهم ومقدَّمهم لله جل وعلا: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء]، فالجن -أعني شياطين الجن- مهمتهم أن يقع بهم الابتلاء في هٰذا الأمر، وقد ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: إني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**».

قال بعدها: (وعِيسَى وَمَرْيَمَ) يعني مثل عيسىٰ ومريم، عيسىٰ عليه السلام ومريم أمه وقع بهما الشرك واتخذ إلهين مع الله جل وعلا، قال ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، وهٰذا تبرُّؤ من عيسىٰ عليه السلام وإثبات من الله جل وعلا أنه عبد واتخذ إلها مع الله جل وعلا، فطائفة من الأنبياء والمرسلين ضل أتباعهم فاتخذوهم آلهة من جهة الغلو والإطراء، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» قال عيسىٰ عليه السلام لاتباعه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة].

فالأنبياء والرسل تحذر من هٰذا الشرك وتنهىٰ عنه؛ بل رسالاتهم في هٰذا الأمر العظيم، وإخلاص القلب لله وتوجهه لله وحده هو زبدة الرسالات الإلهية وهو مدار بعثة الأنبياء والمرسلين.

فعيسىٰ ومريم أُتِّخذا إلهين من دون الله جل وعلا، فكيف أُتخذ عيسىٰ إلها؟

الألوهية غير الربوبية، أُتخذ معبودا بأن يستغاث به بأن يطلب منه بأن يسأل بأن يدعا، والله جل وعلا كفر النصارىٰ باتخاذهم عيسىٰ إلها وجعلهم عيسىٰ ابنا لله أو ثالث ثلاثة، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[المائدة:٧٣]، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة:٧٢].

وهٰذا كله لأجل أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[المائدة:٧٥] فالآيات في القرآن في هٰذا الأمر كثيرة.

الذي حصل في هٰذه الأمة أنهم ما نظروا في كيف صار عيسىٰ عند أتباعه المنحرفين عن سبيله كيف صار إلها؟ اتخاذ عيسىٰ إلها من جنس اتخاذ الأوثان آلهة.

ومن جنس اتخاذ الصالحين هٰذه الأمة آلهة، فالذين اتخذوا عبد القادر الجيلاني إلها أو معبودا من جنس تلك الشبهة، الذين اتخذوا العيدروس إلها ومعبودا هو من جنس تلك العبادات، الذين اتخذوا البدوي أو الحسين أو زينب أو سكينة أو غير هؤلاء من جنس شرك أولئك؛ لأنه تعلقٌ بالأرواح واعتقاد أن هؤلاء لهم مقامات عظيمة عند الله جل وعلا، وحصل لهم ما يريدون في بعض استغاثاتهم من جهة الجن، فصارت الشبهة في الشرك في هٰذه الأمة من جنس الشبهة التي أحدثت حصول الشرك من جنس

الشبهة عند المشركين فضل المتأخرون بما ضل به الأولون، والقرآن من أولهم إلىٰ آخره في رد هٰذا وبيان ضلال المشركين وبعدهم عن ما يُرضي الله جل جلاله وما يحبه ﷻ.

قال: (وأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) عُبد صالحون كثير، وعبادة الصالحين من جهة أنّ أرواح الصالحين طاهرة لها المقام العظيم عند الله جل جلاله، وأنّ الله جل وعلا لا يرد لهم طلبا، يظنون أن مقام الصالح عند الله من جنس مقام المقرّب عند الملوك، والملوك؛ ملوك الأرض إذا صار عندهم من هو مقرب ويحترمونه ولهم فيه مصلحة يكون إجابة لطلبه، إذا توسط وطلب أجابوا طلبه لأنهم يرهبونه لأنهم يريدون أن يبقىٰ علىٰ صلته بهم ولأن لهم فيه مصلحة، فاعتقاد المشركين في الصالحين من جنس هٰذا الاعتقاد، ظنّوا أن العباد مع الله جل وعلا من جنس الوزراء عند الملوك أو المقربين عند الملوك، فجعلوا هٰذا هو هٰذا.

والله جل وعلا في سورة سبإ أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

وقال جل وعلا في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾.

فالصّالحون عند الله جل وعلا يرجون الرحمة ويخافون العذاب، والله جل وعلا هو مالك الملك.

فإذن الشبهة التي من أجلها أشرك من أشرك بالصالحين من جهة التعلق بالأرواح.

والظن بأن هٰذه الأرواح مقربة فإذا كانت مقربة عند الله فإنها إذا سئلت فتسأل الله جل وعلا فيجيب الله طلبها ولا يرد طلبها.

ولهٰذا من الأدعية البدعية أن يقول القائل: أسألك بحرمة نبيك أو بحرمة الولي الفلاني أو بجاه أهل بدر عندك أن تعطيني كذا وكذا، والله جل جلاله ليس لأحد عنده حق بحيث لا يرد ما سأل، حتىٰ الأنبياء عليهم السلام ربما رُدّت أسئلتهم وردت دعواتهم في حياتهم، فالله جل وعلا رد دعاءً إبراهيم ردّ دعاء لإبراهيم وردّ دعاء لنوح: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[هود:٤٥]، وردّ أيضا دعاء للنبي عليه الصلاة والسلام «**سألت ربي ثلاثا فأعطاني واحدة ومنعني اثنتين**» ونحو ذلك، فدعواتهم في الحياة علىٰ رجاء الإجابة هم أعظم من تجاب لهم الدعوة لكن ليس لأحد المقام عند الله جل وعلا بحيث أنه إذا طلب فإنه لا يُرد سؤاله خلاف ما عليه كل... بالقبور والصالحين والأرواح المختلفة.

قال: (يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ) وهٰذا فيه أن مشركي العرب كانوا علىٰ أثر من الرسالة، وأنهم لم يكونوا بلا رسول قبل محمد ﷺ بل كانت رسالة إبراهيم عليه السلام فيهم، لهٰذا كان فيهم بقايا من دين إبراهيم كما ذكرنا من أمور الفطرة من الغسل من الجنابة وغسل المرأة من الحيض والصدقات وبعض الأدعية والصلوات ونحو ذلك، (فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ) قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ) أخذه من قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[النحل].

فالنبي عليه الصلاة والسلام يجدد للعرب دين أبيهم إبراهيم، والله جل وعلا قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾[يس]، وقوله جل وعلا: ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾ فيها وجهان من التفسير في هٰذه الآية:

- إما أن تكون موصولة؛ يعني لتنذر قوما الذي أنذر آباؤهم فهم غافلون عما أنذر آباؤهم.
- والثانية ﴿مَّآ﴾ نافية ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يعني لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم، والمقصود يكون هنا بآبائهم الآباء القريبون المقصود الآباء القريبون؛ لأن أولئك غفلوا عن دين إبراهيم وملة إبراهيم إلا بقايا من العرب أفراد كانوا يسمون الحنفاء اتبعوا ملة إبراهيم في كثير منها.

فإذن لفظ (التجديد) هنا لأجل ما ذكرت، وهٰذا يدل علىٰ أن مشركي العرب كانت لهم رسالة قبل محمد ﷺ، وذلك ظاهر بين والحجة عليهم قائمة به، ووجود الكعبة عندهم وبإقرارهم بأنهم من نسل إبراهيم عليه السلام، ورسالة إسماعيل ورسالة إبراهيم عليهما السلام فيهم، والنبي عليه الصلاة والسلام جدّد لهم دينهم.

قال: (فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ) دين إبراهيم هو التوحيد والقنوت لله جل جلاله قال ﷻ في سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾، ﴿عَقِبِهِۦ﴾ من نسل إسحاق، و﴿عَقِبِهِۦ﴾ أيضا من نسل إسماعيل وهم العرب، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني إلىٰ هٰذه الكلمة، فدين إبراهيم عليه السلام هو التوحيد والبراءة من الشرك والإخلاص العمل والدين لله جل جلاله، وهو الذي بعث الله به محمدا ﷺ، كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[النحل]، وكما قال جل وعلا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام:٩٠] في سورة الأنعام.

المقصود من ذلك أنّ العرب قامت عليهم الحجة، وبُيِّن لهم الأمر ببعثة إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ بُعث مجددا لهم دين أبيهم إبراهيم، ولكن الشريعة مختلفة فإبراهيم عليه السلام جاء بدين الإسلام العام، ومحمد ﷺ جاء بدين الإسلام الخاص.

قال: (وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هٰذا التَّقَرُّبَ والاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ لا يَصْلُحُ مِنْهُ شيءٌ لِغَيْرِهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولَا لنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا) يخبرهم محمد ﷺ أن هٰذا التقرب وهو التقرب إلىٰ الأرواح، التقرب إلىٰ الصالحين، التقرب إلىٰ الأنبياء، التقرب إلىٰ الملائكة، سؤال أولئك الشفاعة، هٰذا التقرب والاعتقاد فيها، قال: (والاعْتِقَادَ) يعني والاعتقاد في تلك الأرواح أنها تنفع أو أنها تضر أو أنها تملك شيئا من الأمر، قال ذلك: (مَحْضُ حَقِّ اللهِ)، محض حق الله يرجع إلىٰ المسألتين:

الأولىٰ: التقرب.

والثانية: الاعتقاد.

لأن هناك من يعتقد ولا يتقرّب، وهناك من يتقرب ويعتقد، فكل المسألتين محض حق الله جل جلاله.

فنفهم من هٰذا أن من اعتقد الشرك ولم يفعله فإنه مشرك كالذي فعله؛[1] لأن الاعتقاد لا بد أن يكون - الاعتقاد بأن هٰذه الروح تنفع أو تضر أو أن أحدا يغيث فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا- هٰذا يجب أن يكون في الله جل وعلا، لا يُعتقد في أحد أنه يملك من الأمر شيئا، ولا أنه يملك الشفاعة كما قال جل وعلا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، الشفاعة مِلك لله جل وعلا هو الذي يتكرم بها وهو الذي ينيلها من يرضىٰ عنه جل وعلا.

(لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولَا لنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا) هٰذه رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أنّ العبادة لله وحده، وأن التقرب إنما هو لله وحده، لا استغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا بالله، لا استغاثة بالأموات، لا استغاثة بالأرواح، لا استغاثة بالغائبين، كذلك لا عبادة بأي نوع من أنواع العبادة إلا لله جل جلاله، فتتعلق القلوب بالله وحده، ويُبْطَل أمر الجاهلية بالتعلق بغير الله جل جلاله.

قال: (وَإِلاَّ فَهَؤُلاَءِ الـمُشْرِكُونَ [مقرون] يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، وَأَنَّـهُ لَا يَـرْزُقُ إِلاَّ هُوَ، وَلَا يُحْيِي إِلَّا هُوَ، ولَا يُمِيتُ إِلَّا هُـوَ، وَلَا يُـدَبِّرُ الأَمْـرَ إِلَّا هُـوَ، وَأَنَّ السَّـمَوَاتِ السَّـبْعِ وَمَـنْ فِيهِـا، والأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِـيهِنَّ؛ كُلُّهُـمْ عَبِيـدُهُ وَتَحْـتَ تَصَرُّـفِهِ وَقَهْـرِهِ.) كما ذكرنا مرارا وأنتم تعلمون أنّ المشركين يقرون بالله جل وعلا بالربوبية؛ يعني أكثر أفراد الربوبية يثبتها المشركون لله جل جلاله، فإذا سألت المشرك من العرب من أهل الجاهلية أو من غيرهم: من الذي يحيي؟ فسيقول: الله، من الذي يميت؟ فسيقول: الله، من الذي يدبر الأمر؟ فسيقول: الله، من الذي يرسل الغيث؟ فسيقول: الله، من الذي يجير ولا يجار عليه؟ فسيقول: الله، من الذي يعافي من المرض؟ فسيقول: الله.

فإذن هٰذه الأفعال علىٰ جهة الحقيقة إنما هي لله جل وعلا، المشركون يعتقدون ذلك، ومع هٰذا الاعتقاد وكونهم يتصدقون ويدعون ويتقرَّبون إلىٰ بأنواع من القربات ويغتسلون من الجنابة، تغتسل المرأة من الحيض، ويصلون الأرحام ويتفاخرون بذلك، مع ذلك لم يكونوا مؤمنين ولا مسلمين لم؟ لأن هٰذا لم يُبتلوا به، إنما أُبتلوا بأن يكون الله جل جلاله هو المعبود وحده، وهم عبدوا مع الله غيره، فمن عبد الله غيره لم تنفعه صلاته ولم ينفعه صيامه، وإن كان زاهدا متعبدا، ولم ينفعه إقراره لله بالربوبية، وقد قال جل وعلا عن أكرم الخلق محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمّد ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزمر] فالله جل وعلا ليس بينه وبين عباده نسب، وليس بينه وبين عباده مُجاملة، وليس بينه وبين عباده رعاية، وإنما هو جل جلاله القهّار الجبّار سبحانه الذي يستحق العبادة وحده، فلو أشرك أكرم الخلق عليه لحبط عمله ولكان من الخاسرين، فكيف بمن

(١) انتهىٰ الشريط الثاني.

هو دونه ؟ كيف بمن هو دون محمد ﷺ ؟ لاشك أنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولبطَل ما كانوا يعملون، قال جل وعلا عن المشركين في سورة [الفرقان]: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾، لهم أعمال ولهم طاعة ولهم أنواع خير، ولكن لما لم يوحدوا الله جل وعلا؛ لم يعبدوا الله وحده دونما سواه، لما توجهوا إلىٰ تلك الأرواح، لما لم يجعلوا الأمر كلَّه لله جل جلاله، فإنهم صاروا مشركين لم ينفعهم ذلك، ولم يعصم دماءهم ولا أموالهم، وإنما كانوا مشركين مكذّبين للرسل جميعًا.

وهٰذه في الحقيقة مسألة عظيمة، وآل الأمر -والله المستعان- بالناس إلىٰ أن كثيرين إذا سمعوا من يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أو سمعوا من يقول: ما شاء الله، أو سمعوا من يقول: الحمد لله، سموه مؤمنا ولو كان علىٰ غير عمل أصلا، بل لو رأوه مجاهدا في سبيل الله كما يقولون، رأوه يقارع المشركين في الميدان، رأوه يقارع الكفار، رأوا عنده من الأعمال والصالحات أمرًا عظيمًا، ونظروا في أمره بهٰذا الاعتبار عظّموه تعظيما وجعلوه من الأئمة ومن المقتدىٰ بهم، وقد يكون في حقيقة الأمر مشركًا بالله جل وعلا:

إما من جهة الاعتقاد يعتقد في أولئك الصالحين أو لا يكفر بالطاغوت.

أو أنه يشرك في الحقيقة؛ يتوجه للموتىٰ بأنواع القربات.

المسألة هٰذه فيها غُربة في هٰذا الزمن وفي كل زمن، وأصبحت مسألة التوحيد وأصبح هٰذا الأمر في هٰذا الزمن محل نظر عند الأكثرين، وصار الشرك إنما هو بنفي وجود الخالق جل جلاله.

من هو الكافر؟ عند طائفة هو الملحد الذي لا يؤمن بوجود الله.

وجعلت طائفةٌ النصارىٰ من المؤمنين، والصابئين من المؤمنين؛ لأنهم يعبدون الله علىٰ طريقتهم.

وآخرون قالوا بتوحّد الأديان السماوية، وآخرون يردون علىٰ من قال بتوحيد الأديان السماوية، ولكنهم إذا نظروا إلىٰ شرك المشرك وتعلقه بالصالحين، وما يحصل عند المشاهد والقبور من أنواع عبادة غير الله، أو ما يفعله الضّالون من تحكيم القوانين واعتقاد أنها جائزٌ أن يحكم بها ولم يجعلوا ذلك من المُخرج عن دين الإسلام، وهٰذا من الغربة المتحققة في هٰذا الزمن، والله المستعان.

ولهٰذا يجب علىٰ طلاب العلم أن يكونوا متبصِّرين بهٰذا الأمر أعظم تبصر، وتبصُّرك فيه لا يعني الحكم علىٰ الأفراد، الحكم علىٰ المعيّنين، الحكم ذاك بحثٌ فقهي يرجع فيه إلىٰ أهله يحتاج إلىٰ فتوىٰ؛ لكن اعتقادك بالتوحيد واعتقادك أن الشرك مردود مهما كان من جاء به، وإبطال منزلة المشرك مهما كان فهٰذا نبينا ﷺ يقول الله جل وعلا عنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر:٦٥]، واليوم تجد من يقول في حال بعض: ما يضر شركهم، هؤلاء لا تتكلم في هٰذه الأمور، هؤلاء عندهم من المقامات العظيمة كذا وكذا وكذا، والله جل وعلا يقول عن نبيه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الزمر]، وهؤلاء يقولون إن أولئك الذين لهم أعمال صالحة لما أشركوا؛ لكن لا يضرهم ذلك الشرك، ولا عبادة غير الله

جل جلاله، ولا ما يعتقدون في غير الله جل جلاله، وهٰذا لا شك يحتاج منك إلىٰ الاهتمام بهٰذا الأمر اهتماما عظيما.

بعد ذلك ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أدلة علىٰ ذلك؛ يعني علىٰ أن الله جل جلاله متوحد في الربوبية عند المشركين؛ يعني اعتقادهم في توحيد الربوبية، قال: (فَإِذَا أَرَدتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَشْهَدُونَ بِهٰذا فَاقْرأْ قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١] الآيةُ، وَقَوْلَهُ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[المؤمنون] وَغَيْرَ ذَلكَ مِنَ الآيَاتِ) هٰذه من الأدلة الظاهرة علىٰ أن الموحد لله في الربوبية لا ينفعه توحيده إلا إذا وحد الله في الإلهية.

توحيد الله بأفعاله لا ينفع إلا لمن وحد الله جل وعلا بأفعال العبد، إذا وحدتَ الله بأفعالك نفعك توحيدك لله جل وعلا بأفعاله؛ يعني الموحد لله في الألوهية ينفعه توحيد الربوبية ويعظم؛ لأنّ توحيد الربوبية له آثار عظيمة وواجب من الواجبات؛ لأنه أحد أنواع التوحيد.

لكن من وحّد الله في الربوبية ولم يوحّده في العبادة فلا ينفعه ذلك، وإنْ كان يتكلم في ذلك بعلوم عجيبة وتفاصيل غريبة، حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وحتىٰ يعتقد أنّ عبادة ما سواه باطلة، وحتىٰ يؤمن بالله ويكفر بالجبت والطاغوت بأنواع ذلك.

نقف عند هٰذا، هٰذه مقدمة لما سيأتي إنْ شاء اللهُ تعالىٰ.

[الأسئلة]

سؤال (١٣): يقول: عبادة الهوىٰ من الشرك بالله، فكيف نجمع بين هٰذه العبارة وقولك: إن الشرك راجع إلىٰ أرواح الصالحين وأرواح الكواكب فقط؟

الجواب: الحقيقة بعض الأسئلة ما تكون دقيقة.

عبادة الهوىٰ من التأليه؛ من تأليه، يعني تؤله، ولكن ليس كل طاعة للهوىٰ شرك أكبر أو شرك أصغر، قد تكون طاعة الهوىٰ معصية فقط، فإذا صارت طاعة الهوىٰ في عبادة غير الله مع ظهور الحجة -حجة التوحيد- صارت هنا شركا أكبر، وذلك برجوعها إلىٰ عبادة غير الله جل جلاله، ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الفرقان]، تأليه الهوىٰ، أنواع المعصية من طاعة الهوىٰ، ولكن لا تسمىٰ شركا.

اقتراح: متىٰ يكون إيقاف الدرس؛ لأنه قرب وقت الاختبارات، ويقترح أن يكون هٰذا الدرس آخر درس؟

الجواب: لا الدرس القادم لأني أظن أن الاختبارات تنتهي يوم (١٥) يعني بدايتها، الأسبوع القادم يكون عندنا إن شاء الله دروس.

سؤال (١٤): ما هو الإسلام العام الذي ذكرت أن إبراهيم أتىٰ به، وما الإسلام الخاص الذي أتىٰ به محمد ﷺ؟

الجواب: الدين عند الله جل جلاله الإسلام كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، والله جل وعلا لا يرضىٰ إلا الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران]، فآدم عليه السلام كان مسلما، وجميع أرسل كانوا مسلمين وجاءوا بالإسلام العام.

والإسلام العام **معناه التوحيد والاستسلام لله جل وعلا بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله**. وهٰذا هو الذي تشترك فيه جميع الرسل، والإسلام الخاص المقصود به ما شمل الاستسلام ذاك، ما شمل الإسلام الذي هو التوحيد والعقيدة والشريعة أيضا التي جاء بها محمد ﷺ.

وهٰذا الكلام -الإسلام العام والخاص- تجده في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة، وفي أوائل الفتاوىٰ تجد ذلك ماثلا، يعني الإسلام الخاص هو العقيدة والشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام، والإسلام العام هو الذي لا يرضىٰ الله جل وعلا من أي أحد من الخلق حتىٰ قبل محمد ﷺ إلا أن يكون مسلمًا ذلك الإسلام العام ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[آل عمران:٨٣].

سؤال (١٥): من تقرّب إلىٰ الله بدون اعتقاد، فما حكمه في الإسلام؟

الجواب: هو مجنون، كيف يتقرب بدون ما يعتقد؛ يعني يتحرك حركات وهو لا يعتقدها، ما الذي حركه؟ ما يمكن حركة تصدر من عاقل إلىٰ بإرادة قلب، إرادة القلب هي المحركة، محبة القلب للشيء وإرادته هي المحركة، معلوم أنه لا يحصل أي عمل من الأعمال إلا بشيئين:

- بإرادة متميِّزة خاصة بهٰذا العمل.
- وقدرة تامة.

إذا صار عنك لأي عمل تريده إرادة واضحة متميزة وعندك قدرة حصل العمل، وأما إذا تخلفت الإرادة وثَم قدرة لم يحصل العمل، حصل عندك قدرة وليس ثَم إرادة ما حصل العمل أصلا، فإذا حصل عمل ما من المكلف عُلم أنه أراده وكان قادرا عليه فأحدثه.

إذا عمل عملا وصار غير مؤاخذ به:

- إما أن يكون من جهة أن إرادته لم تكن متمحِّضة؛ يعني إما أن يكون مجنون أو ساهي أو غافل أو نائم.. إلىٰ آخره من عوارض الأهلية التي تكون، يعني [ما] يرفع معها الحكم التكليفي.
- وإما أن يكون من جهة عدم إرادته للفعل، وأما القدرة فكانت من جهة الإكراه، والمكره أيضا مرفوع عنه الحكم التكليفي في أكثر المسائل.

سؤال (١٦): الذين يحضّرون الأرواح هل هم كفار؟ وهل يختلفون عن السحرة؟

الجواب: تحضير الأرواح هٰذا باب واسع، يُزعم أنه يحضرون الأرواح في الشرق والغرب، وتحضير الأرواح يأتي واحد مثلا لهٰذا ويقول له: أريد أن أرىٰ أبي وأسمعه وأسأله، فيُحضر له روح أبيه فينظر تارة إلىٰ شكل أبيه شكل روح لا شكل جسم، وتارة يسمع صوت أبيه دون رؤية، يسمع صوت أبيه المعروف، وهٰذا يكون من جهة الشياطين، وهو تحضير للأرواح، لكن لأرواح الشياطين التي تعلم ذلك من أبيه.

سؤال (١٧): هل الذي يخاف من الجن ومن أذيتهم يعتبر مشركا؟

الجواب: هٰذا فيه تفصيل، الخوف الطبيعي لا حرج للمرء فيه، لكن إذا خافهم خوف السر أنْ يصيبوه بشيء سرا بقدرتهم عليه وبقدرتهم علىٰ ذلك؛ أن يميتوه بدون أسباب؛ بشيء سري كما يقدر عليه الله جل وعلا هٰذا هو الشرك، أما الخوف الطبيعي من أن يضروه، فهٰذا ليس بشرك؛ الخوف الطبيعي، لكن الخوف الطبيعي يكون له أسبابه الظاهرة، لكن هو يخاف هكذا من دون شيء، إنما خوف من أرواح الجن بدون أسباب ظاهرة تدل علىٰ ذلك، هٰذا لا شك أنه قد يكون شركا أصغر، وقد يكون شركا أكبر بحسب الحال، والشرك الأكبر في الخوف هو خوف السر؛ يعني أن يخاف أن يصيبه ذاك سرًّا بما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا.

سؤال (١٨): هل قصة صنمي إساف ونائلة صحيحة أم لا؟

الجواب: مذكورة في السير، في كتب السير معروفة.

سؤال (١٩): هٰذه مقولة لشيخ الإسلام يريد توجيهها؟

الجواب: لا بد يأتي بالكتاب الذي قرأ فيه هٰذه المقولة.

سؤال (٢٠): هناك من الصالحين من يكون في دياره في يوم عرفة ويُرىٰ في عرفة في نفس الوقت، وإذا سئل عن ذلك يقول: نعم ذهبت إلىٰ مكة، فكيف يكون أحدهم جِنِّي علما بأنه يثبت الذهاب إلىٰ مكة؟

الجواب: هو إذا أثبت هل يُصدَّق!!!

يحكىٰ أن ثلاثة من أجناس هؤلاء الذين يزعمون أنهم يذهبون في وقت قصير مع خادم لهم -غلام-، فأحضر لهم طعاما فأكلوه كلَّه ولم يُبقوا له شيئا، وبقيت الفاكهة، فقالوا بعد ما شبعوا نترك الفاكهة إلىٰ

الصباح، وهٰذا الغلام ما دَعَوه ليأكل، ولا أبقوا له شيئا، فلما كان بالليل جاء ذاك وتناول الفاكهة كلها؛ لأنه جائع، فلما أتىٰ الصباح أتىٰ الغلام لهؤلاء المشايخ من جنس هٰذا الذي يقول: أنا ذهبت إلىٰ مكة وهو في دياره، اجتمعوا فصار كل واحد يُظهر فضيلته.

فقال أحدهم: أنا اليوم -هم كانوا أظنهم في الشام بحسب القصة موجودة في بعض الكتب- قال أحدهم: أما أنا فصليت الفجر الليلة في مكة في مقابلة الكعبة.

وقال آخر -الثاني-: أنا صليت اليوم في مسجد رسول الله ﷺ.

والآخر أراد أن يفضلهم فأبعد قال: أما أنا فصليت الفجر اليوم في مسجد كذا في المغرب.

وهٰذا الغلام ينظر إليهم، وهم يريدون أن يقنعوه بذاك أو بعضهم يقنع بعضا، فلما انتهوا من هٰذا، قالوا: يا غلام هات الفاكهة. فقال: الفاكهة سُرقت البارحة. فقالوا: لِمَ لم تطلبنا؟ فقال: أحدكم في مكة، والثاني في المدينة، والثالث في كذا، ناديت، ناديت فما جاءني أحد. فسكتوا.

المقصود أن هؤلاء يُختبرون فإذا اختبروا بان صدقهم، اختبارهم بالدنيا، اختبرهم بالدنيا، أما وجود جسم في مكانين في وقت واحد فهٰذا محال.

سؤال (٢١): لماذا كانت عقوبة قوم نوح بسبب فعل الفاحشة؟

الجواب: لا قوم نوح عوقبوا بسبب الشرك بالله، أظنه يقصد قوم لوط لكن المكتوب قوم نوح.

سؤال (٢٢): هل إذا طلب إنسان الدعاء من إنسان آخر، وذلك بنية أن الذي طلب منه الدعاء دعوته مجابة بخلاف الأول، هل ذلك من الشرك؟

الجواب: طلب الدُّعاء من المخلوق جائز في أصله، إذا كان ذلك المخلوق حيًّا يقدر علىٰ الدعاء، وجاء في «السُّنن» في حديث يحتج به أهل العلم، وإنْ كان في إسناده ضعيف أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعمر: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**»، وثبت أيضا في «صحيح مسلم» أن النبي عليه الصلاة والسلام قال عن أويس القرني: «**من استطاع منكم أن يدعو له فليفعل**»، وهٰذا يدلّ علىٰ أنّ جنس الطلب طلب الدعاء من الحي جائز، والنبي عليه الصلاة والسلام طلب منه الصحابة الدعاء فدعا لهم.

لكن هناك قول لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو أن طلب الدعاء؛ طلب الحي الدعاء من الحي ترْكُه أولىٰ، إلا في حال أن يكون من طلب الدعاء من الآخر يأمل نفعه ونفع الداعي معه، يقول: إذا كان الطالب يأمل نفع الداعي ونفع المدعو له جميعًا جاز، لكن إذا كان يطلب نفعه وحده باعتقاد في ذاك المسؤول، فإنّ هٰذا تركُه أولىٰ.

وقول السائل هنا: (من دعوتهم مجابة) هٰذه الكلمة دعوة فلان مجابة، أو فلان من مجابي الدعوة، المقصود منها الغالب، ليس المقصود منها أنه لا يدعو بدعوة إلا أن يجاب، المقصود منها أكثر أموره؛ يعني إذا دعا أجيب في أكثر ما يدعو به، وإلاّ -كما ذكرت لك- فإن الأنبياء وهم من مجابي الدعوة؛ بل

هم أفضل من مجابي الدعوة من أقوامهم رُدَّت بعض دعواتهم كما ذكرت، فإجابة الدعاء منوطة بأسباب شرعية وقدرية ولله جل وعلا الحكمة البالغة.

قد روىٰ ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب الآثار» وفي غيره أيضا أنّ حذيفة لما سُئل من قبل بعضهم أن يدعو حذيفة لذاك فدعا له، ثم سئل مرة فنفض يديه وقال: أنبياء نحن؟! إنكار بتكرر السؤال من هو دون الأنبياء، طلب الدعاء ممن هو دون الأنبياء، وهٰذا ظاهر.

فالاعتقاد في فلان أنه مجاب الدعوة يسأل، ادع لنا يا فلان، هٰذا قد يكون من أسباب الاعتقاد فيه بعد مماته فإذا سئل مرة مرتين ونحو ذلك، أما أن يجعل فلان يقال له دائما: ادع لنا يا فلان هٰذا غير طريقة السلف.

سؤال (٢٣): أليس الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، فلماذا لم يؤمن المشركون بتوحيد الألوهية؟

الجواب: نعم، توحيد الربوبية يلزم منه أن يوحّد المرء في الإلهية، هٰذا لازم قطعي، لكن أولئك ما التزموه، ولذلك في القرآن جعل جل وعلا من البراهين الدالة علىٰ توحيد الألوهية إقرار المشركين بتوحيد الربوبية:

* كما جاء في الآية -آية يونس التي ذكرنا- قال جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾إلىٰ قوله ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ﴾ يعني مرتِّبا علىٰ قولهم علىٰ تلك الإجابة: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]، يعني الشرك.

* وقال جل وعلا في سورة الزمر: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر:٣٨].

* وفي سورة النمل قال جل وعلا: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[النمل] إلىٰ أن قال ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النمل].

فدليل وجوب توحيد الله جل وعلا في العبادة أنه جل وعلا هو الواحد في الربوبية، وأنه لا رب معه ولا رب سواه ﷻ، فمن أيقن بذلك علىٰ الحقيقة فإنه يقوده إلىٰ توحيد العبادة، لكن ما قاد أكثر العرب وإنما قاد ذاك من آمن بالنبي ﷺ، والأكثرون أعرضوا عن تلك الحجة.

توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية لمن نظر فيه وعقل مستلزم لتوحيد الإلهية، تنظر إلىٰ السَّمٰوات من خلقها، تنظر إلىٰ الأرض من خلقها، إلىٰ نفسك من خلقك، إلىٰ من حولك كذا، فليس ثم جواب إلا أن الخالق هو الله جل وعلا، دليل حتمي ضروري، لا يستطيع عاقل أن يخرج منه وهو متجرد من الهوىٰ، لا يستطيع أن يخرج منه، دليل حتمي علىٰ أن الله جل وعلا هو الرب ﷻ.

إذا كان كذلك، وأن الخلق لم يخلقوا شيئا وإنما هو جل وعلا الخالق وحده، وهو الذي يملك الأمر وحده؛ فيجب أن تتعلق القلوب به جل وعلا وحده دونما سواه، وأنْ يكون الحكم إليه جل وعلا وحده دون ما سواه في العقيدة وفي الشريعة.

نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.